

فوضى المرور ثقافة أيضًا !!

حينما تنتقل بين المدن السعودية، تستشعر تناقضات مرورية غريبة تعكس حياة هذه المدن وروح أهلها. في الرياض، تلك المدينة التي لا تنام، ولا يخلو شارع فيها من الزحام في ساعات الذروة، تجد نفسك أمام لوحة مرورية محيرة. صحيح أن السائقين اعتادوا هذا الزحام وكأنه أصبح جزءا من يومهم، إلا أن هذا الاعتقاد لا يمنع من ظهور بعض التعابير الواضحة على الوجوه؛ وجوه متعبة وممتعة أحيانا، لكنها تسير مع التيار. والشيء الأهم أن الزحام في الرياض -رغم كل شيء- لا يتوقف أبدا. السيارات تتحرك باستمرار، حتى وإن كان ببطء شديد، لكن هناك دائما حركة، وكأن الرياض تسير في إيقاع ثابت مهما كانت الظروف.

لكن، تعال إلى جدة، وسترى الفوضى بأبهى صورها. هنا الزحام يأخذ طابعا مختلفا تماما، كأن الشوارع تشهد سباقا عشوائيا للبقاء. السيارات تتدفق بلا ترتيب، وبعض السائقين يبدون وكأنهم في منافسة حامية للوصول أولا إلى لا مكان. طريق المدينة -مثلا- يتحول أحيانا إلى موقف سيارات ضخم؛ تشعر بأن الحركة قد توقفت تماما. وفي أحيان أخرى، تصبح في خطر محقق من السائقين القادمين من الخلف أو التوقيفات المفاجئة أمامك، ما يخلق حالة من التوتر والقلق الدائمين. وفي طريق الملك، الوضع لا يقل فوضى؛ طابور السيارات عند «اليو تيرن» يتجاوز العدد المسموح له، فتجد نفسك محاصرا بين السيارات التي تسد الطريق. وأمام هذه الفوضى، يكون الخيار الأمثل أن تقود في وسط الحارات، متجنباً السيارات الخارجة فجأة من الشوارع الجانبية على يمينك.

أما المدينة المنورة، فتسرد لك قصة أخرى من التحديات المرورية. الإشارات المتفرعة من الدائري مشهورة بزحامها الشديد؛ لدرجة أن الانتظار يبدأ قبل الإشارة بفترة طويلة، وكأن هناك طابور انتظار لا ينتهي. وحتى الشوارع الفرعية في المدينة تشهد زحاما، خصوصا في الأحياء القديمة، حيث تضيق الطرقات ويتسع الزحام في ساعات الذروة. الدائري في المدينة، رغم أنه المنفذ الرئيسي لأهلها، يتحول إلى زحام مستمر، خصوصا في عطلات نهاية الأسبوع. القيادة هنا تحتاج إلى توخي الحذر الشديد؛ السرعة والتجاوزات المتهورة أمران لا مفر منهما. نصيحتي! صل ركعتين قبل أن تسلك هذا الطريق في الأوقات المزدحمة؛ لأنك لا تدري من أين ستأتيك المفاجأة، هل من الخلف أو الأمام أو من الجوانب؟!

المدينة المنورة أيضا تحمل تناقضات عجيبة. في المسار الأسير تجد السرعة العالية والتجاوزات المتهورة، بينما في المسار الأيمن تجد سيارات تسير ببطء شديد، وكأنها متوقفة تقريبا. والمفارقة الأكبر هي السيارات التي تقود بسرعات لا تتجاوز 50 كم/س، وأحيانا أقل، وكأن الطريق مخصص لجولات استكشافية. تتشكل خلفها طوابير من السيارات، في مشهد كوميدي لا يمكنك إلا أن تبتسم له رغم الفوضى.

ورغم كل هذا، ما يجمع بين الرياض، وجدة، والمدينة، هو عدم احترام أولوية المرور في الدوار. الدوارات هنا أصبحت ساحة للتحدي والمناورات، وكأن الدخول إليها يتطلب جرأة وشجاعة. لا تحاول أن تكون مؤدبا أو أن تعطي الأولوية؛ ببساطة، لن تستطيع الدخول إن فعلت!

وعلى النقيض تماما، تجد في مدن مثل حائل، الرس، عنيزة، والبكيرية نمودجا مختلفا. هنا الالتزام بالنظام المروري واضح، واحترام أولوية المرور في الدوار أمر لا جدال فيه. الناس ينتظمون عند الإشارات، ويتبعون القوانين بكل هدوء، ما يجعل القيادة في هذه المدن تجربة مريحة بشكل غريب مقارنة بالمدن الكبرى.

وفي النهاية، لا يمكن إنكار أن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق الجهات المعنية بتنظيم المرور. الانضباط بالشوارع هو مسؤولية المرور أولا وأخيرا، ومن المهم أن تكون هناك جهود مكثفة لضبط الأمور. لكن لا يكفي التواجد فقط؛ يجب إعادة النظر بجدية في أهلية من تم منحهم رخص القيادة، سواء من الوافدين أو الأهالي. يبدو أن هناك الكثير ممن حصلوا على رخص القيادة دون أن يكونوا مؤهلين بشكل كامل، ولهذا يجب سحب رخصهم وإعادة تأهيلهم من جديد. التحدي الأكبر يكمن في تصحيح هذه الأخطاء من الجذور؛ لضمان أن يكون كل سائق على الطريق قادرا على القيادة بأمان وكفاءة.

ولا ننسى دور التوعية. كانت أسابيع المرور وبرامج السلامة المرورية في الماضي من العلامات الفارقة في توعية المجتمع، ويجب إعادة إحياء هذه البرامج. فهي ليست مجرد حملات، بل هي ركيزة أساسية لتثقيف السائقين ونشر ثقافة القيادة المسؤولة.

وفي الختام، القيادة ليست مجرد مهارة، بل هي أخلاق قبل كل شيء. كما كان يقول الآباء: «القيادة فن وذوق وأخلاق»، وهي حكمة تظل اليوم أكثر أهمية من أي وقت مضى.



عبدالمحسن البدراني

رئيس التحرير

